هل تعرف الذهول؟ تعال احكي لك قصته!

تغيرت خلال حياتي مرات عديدة، وبطريقة عميقة ومتتابعة، حتى أنني أشعر ببعد هذه النسخ عني مقدار ألفيّ سنة أو يزيد، مع أن سنيني مجتمعة لم تتخطَ الثالثة والعشرون بعد.

كنت أتغير بشكل متتابع وغير مدروس وبخطوات اعتباطية ومتسارعة. اتنقل من حقلٍ لحقل، ومن اهتمامٍ لآخر.

مررت بسنة جوهرية، تشبه في مخيلتي لحظات الإدراك السينيمائية المباغتة، اللحظة التي يدرك فيها البطل الأمور دفعة واحدة. غير أنه في الحياة لا تحدث هذه الإدركات بهذه الصورة.. بل على مراحل وبعد سنين وإعادة ضبط للأفكار.

من أيام وجدت في دفتري سطر، كتبته من سنة ونيف، وجدتُ فيه إدراك متأخر.. تلك الاستدراكات المريرة والمؤجلة نتيجة نضجٍ تخطى أوانه.

"كثير من محطات التغير التي ظننتها نافعة ومحورية في حياتي لم تكن سوى سحلة جديدة في شيء غير مجدي وغير مطلوب مني أصلًا"

وجدتها مكتوبة وحيدة في صفحة كاملة، تنتظر التعليق والرد والتفنيد المؤلم المكتوم..

لقد اتضحت كثير من الأفكار خلال الرحلة مبكرًا، لكن القدرة على الاعتراف بها والإقرار بالخطأ الذي وقع احتاج وقت وشجاعة كانت قد أُنهكت في معارك لم أكن واعية كفاية بنفعها عوضًا عن ضررها. احتاجت هذه الشجاعة مدة، مدة من تمثل وعمل بهذه الأفكار المؤلمة والجديدة في صمت وتواري.

وبعد سنة، سنة كاملة من عدم الضرب في أمور لا فائدة منها _قدر المستطاع_، بعد سنة من النظر في معطيات حياتي وما في يدي حقيقةً لا وهمًا ولا إدعاءً، بعد سنة من البعد عن التنميط، التيارات، الشللية، الحروب الوهمية، الهوس بالحالات الشعورية التي مررت بها والتي أود أن أمّر بها. استطعت بعد ذلك كله، أن اعترف أمام نفسي بشجاعة، شجاعة جندي ارتكب خطأً أفضى لتفريغ ذخيرة آلته في منتصف جبهته، أنني خضت معارك كثيرة.. دخلت أوساط وتبنيت أفكار وقرأت كتب وشغلت ساعاتي بأمورٍ لم تأتِ عليّ بنفعٍ يُرجى.

واليوم.. أريد أن أمضي بالمعطيات التي لديّ الآن، أُحدث نفسي دائمًا "لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا" ولكن بشكلٍ ما، أستطيع أن أخرق عميقًا في جدد أهدافي ومسئولياتي، وأن أبلغ جبال الأماني الواقعية التي أود.

وضعتها شعارًا فوق رأسي، كي أسير بواقعية وروية؛ أن كل ذلك سيتأتى ولكن:
ببركة القليل، والكثير من الدأبِ والرضا.

يجرني العالم اليوم لفعل كل شيء، إلا ما يتوجب عليّ فعله، ذلك القلق بخصوص المهام التي ليست من اختصاصنا، المغروسة في كل مكان، في الأفلام والمسلسلات وشخصيات الكتب ومنشورات الناجحين على مواقع التواصل، والخطط المؤجلة لغيرنا..

كلها تدعونا بشكل متواري وغير واضح، لفعل كل شيء إلا الشيء المُسند إلينا، ربما لأنه لن يلقى رواجًا فيظهر في لقطة سينيمائية مضبوطة الزاوية والإضاءة، أو منشور لاقى آلالاف الإعجابات والمشاركات والمباركات، لكنه حتمًا

سيكون اللقطة الأهم في تاريخ حياتي، أو الشيء الذي سأكتب عنه يومًا في مذكرتي الشخصية، وتخلده ذاكرتي.

بعد هذه القناعات، وإعادة ضبط لل mindset، تتغير النظارة التي نرى بها العالم والمطلوب منا وأنفسنا. تنكب بشكل تلقائي على مهامك، تفكر واقعيًا في حل مشكلاتك، تنجز أسرع وبشكل مكثف ومدروس، وتقطع وقت حقيقي وعميق لراحة ضرورية.. لذيذة ومستحقة.

يحضرني اقتباس
"مضيت النصف الأول من حياتي وأنا أتمعن وسأقضي النصف الآخر منه وأنا أشيح"

تلك "أشيح" لأوازن.. وأتعايش، وأضع قدمي في أرض ثابتة وأهداف محددة ومشاريع تأخذ مني وتعطيني.

يتطلب الأمر شجاعة، شجاعة عميقة وجرأة الوقوف والاستدراك أن ذلك الطريق الطويل الذي سرته قد أفضى إلى سراب، وأن هذا الركض في الاتجاهات الخاطئة يكفي.

إنها البصيرة، وانتصارها الكبير على الذهول، ولا أسمي ما مررت به ويمر به ملايين مثلي سوى ذهولًا.. ذهولًا عن حياتنا الخاصة، محفوفًا بالقلق والتوجس وال FOMO، ذهولًا استشعر مرارة خلفها في حلقي على سنين فرطت مولية، تركت رقمًا إضافيًا في عمري، وخزانة عيشي فارغة. لا ينفعنا معشر المذهولين سوى الرضا، لا لشيء، سوى لأنه عليك بالرضا..
بالرضا ستبصر الخلل وتستشرف الحلّ وتتقبل المكتوب وتراجع الواقع.

علق في بالي مدة طويلة، ذلك الدعاء الذي كتبه الرافعي "لم تعطني يا رب ما أشتهي كما أشتهيه ولا بمقدارِ مني، وجعلت حظي من آمالي الواسعة كالمصباح في مطلعه من النجوم التي لا عدد لها..
ولكن سبحانك اللهم، لك الحمد بقدر ما لم تعطِ وما أعطيت، لك الحمد أن هديتني إلى الحكمة، وجعلتني أرى أن نور المصباح الضئيل الذي يضيء جوانب بيتي هو أكثر نورًا

في داخل البيت من كل النجوم التي تُرى على السطح وإن ملئت الفضاء"

إن نور المصباح الضئيل الذي يضيء جوانب حياتي وبيتي هو أهم وأكثر نفعًا وأعم نورًا من كل الأنوار التي تضيء هذا العالم وتمده النور..

إن الهداية لما نحتاجه وتتطلّبه حياتنا فعليًا، هو لُب الحياة ومحورها. وأهم وأدعى ما يجب أن ندعو به ونطلبه يوميًا. أننا نحتاج لدعاء ومعونة يومية، تُوَجِه أذهاننا وتسددها لما هو مطلوب منا حقًا وما نحتاجه حقيقة ولا وهما.